

إدارة الأوقاف وتنميتها في نيجيريا مشاكلها وحلول مقترحة.

أحمد أبوبكر عمر

مقدم إلى مؤتمر عالمي عن:

قوانين الأوقاف وإدارتها: وقائع وتطلعات

خلال الفترة ما بين:

٢٠ - ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٩ م

١ - ٣ ذي القعدة ١٤٣٠ هـ

المنظمون:

مركز الإدارة

كلية أحمد إبراهيم للحقوق

المعهد العالمي لوحدة الأمة الإسلامية

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من اتبع هديه إلى يوم الدين. أما بعد ، فإن هذا البحث الذي يحمل عنوان: **ادارة الأوقاف وتنميتها في نيجيريا مشاكلها وحلول مقترحة** ، بحث يهتم بأوضاع وأحوال الأوقاف في نيجيريا من حيث ادارتها والاشراف عليها ومن حيث التنمية والاستثمارات المعاصرة

موقع نيجيريا الجغرافي

تقع نيجيريا غرب أفريقيا، وتبلغ مساحتها ٩٢٣،٧٦٨،٠٠٠ كيلومتراً مربعاً، تحدها دولة بينين غرباً، ودولة الكاميرون شرقاً، ودولتي تشاد، والنيجر شمالاً، وعدد سكانها أكثر من ١٤٠ مليون نسمة، ونسبة المسلمين فيها أكثر من ٦٠%^١، بها قبائل كثيرة، ولغات عديدة، ومن أشهر قبائلها الفلاتة، والهوسا، ويروبا، وإيبو^٢.

وصول الإسلام إلى البلاد:

لقد كان الشعب النيجيري المسلم، يتمتع بحرية دينية تامة، تحت ظل دويلات إسلامية، ذات صلة بالعالم الاسلامي العربي أحيانا، ومستقلة منحصرة في الربوع النيجيرية تارة أخرى، وتذكر بعض المصادر أن ذلك منذ ما وصل الإسلام إلى أفريقية في القرن الأول الهجري على يد عقبة بن نافع الصحابي الجليل، - رضي الله عنه- حينما كان واليا على شمال أفريقيا. المرة الثانية في عهد الملك يزيد بن معاوية، فقد واصل في فتوحاته نحو الغرب حتى وصل إلى بحر المحيط، ونحو الجنوب وأطراف البلاد حتى دخل غانة و تكرور، ثم توالى بعد ذلك دويلات، كدولة غانا، ودولة المرابطين، ومملكة مالي، ومملكة سنغاي، ومملكة برنو، وكانهم، ثم أخيرا دولة عثمان بن فوديو^٣.

وبطبيعة الحال أن تكون هناك مشاعر إسلامية تتبع تلك الدويلات الإسلامية والتي من بينها أو معظمها الأوقاف، التي اهتمت بتشيد المساجد والمدارس والمقابر وغيرها، غير أن معظم تلك الأوقاف قد انطمست معالمها، واندرست أعلامها، فلا وجود لها اليوم ولا أثر، وما وجد منها فهو على دفة الفلكولور التي تجسم في المتاحف.

أحوال الأوقاف أيام الإستعمار:

لقد وصل المستعمرون البريطانيون إلى جنوب نيجيريا في سنة ١٨٦٢م^٤. وتأخر وصولهم إلى شمالها نسبة للمقاومة الشديدة من قبل دولة إبن فوديو الإسلامية، ففي سنة ١٩٠٣م، تغلب المستعمرون على

¹ Also Position Paper on Zakat Collection and Distribution in Nigeria by Justice Abdul qadir Orire 2009

² Nigerian High Commission in Kuala Lumpur Official Publication PG,5

³ الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني لأدم عبد الله الألوري ص. 18

⁴ المصدر السابق ص. 146

الشمالين، واستلموا على زمام الملك، لقد تم لهم ذلك بعد عهود ومواريث، ومن ضمنها ألا يتعرض الإنكليز لشيء من أمور الدين، ولكن الكفار لم يرقبوا إلا ولا زمة، ولم يلقوا لتك العهود بالا، فتدخلوا في شؤون الدين بشيء من الحقد والعدوان، ونهوا عن الزكاة والصدقات، واعتبروها ضريبة يستترزق بها الملوك وائمة الدين، فكان من جراء ذلك أن انطمست معالم الدين وأوقافها، وانقطعت صلة حاضرها بماضيها، فأصبح لا وجود لها اليوم ولا أثر، وما وجد منها هو على دفة المتحف.

أحوال الأوقاف بعد الإستعمار ودور المؤسسات الخيرية في إدارة الوقف:

لقد مضى أكثر من نصف قرن وإدارة الأوقاف وتنظيم أمرها في نيجيريا تحت رعاية الجمعيات الخيرية، وهذه الجمعيات أنشأت أساسا لمهمة الدعوة وتنظيم أمور المسلمين ورعاية أوقافهم، وكان ذلك نتيجة لإستيفاظ المسلمين على مؤامرات الأفرنج والصليبيين أيام الإستعمار، فقد قام زعماء المسلمين من بلاد يروبا في الجنوب بتأسيس جمعية خيرية الأولى في سنة ١٩٢٣م، باسم أنصار الدين، ثم أسسوا زمرة الإسلام سنة ١٩٢٦م، ثم نور الدين ١٩٣٤م، ثم أنصار الإسلام ١٩٤٥م.^١

و يقول الشيخ آدم عبدالله: "فملأوا المدن والقرى بالمدارس الاسلامية التي جعلت مهمتها تسليح أبناء المسلمين بالثقافة الانكليزية التي أصبحت ضرورية لأبناء البلاد، مع الإمام مبادئ الدين..."^٢.

أما الشماليون فلم يتمكنوا في شيء من ذلك إلا بعد استقلال البلاد بسنة، إذ أن سياسة الأفرنجي عليهم أسوء، وضغوطات الصليبيين عليهم أكثر، ففي السنة ١٩٦١م، اجتمع الشيخ أبوبكر محمود غومي رحمه الله، الذي كان عضوا في المجلس الفقهي الإسلامي بمكة، والحاج أحمد بللوا، الذي كان رئيس الوزراء في الشمال فأتيا بفكرة انشاء جمعية خيرية ينتظم تحت ظلها أمور المسلمين، واختير لها اسم: جماعة نصر الإسلام، ثم توالى بعدها جمعيات ومنظمات تحت مسميات كثيرة، كلها تهدف إلى القيام بالدعوة والتعليم.^٣

لقد قامت هذه المؤسسات بدورها ولم تزل، حيث أنشأت أوقافا كثيرة جدا ولا تكاد تجد مدينة في شمال البلاد وجنوبها إلا ولهم من الأوقاف ما الله به عليم، وأما المناطق الشرقية التي تسكنها قبائل إيو وأغليتهم كفار تم بعون الله تعالى تأسيس جمعية خيرية باسم المعراج ولها دور كبير في شؤون الأوقاف في المنطقة.^٤

وتتنوع أوقاف هذه المؤسسات من بين المساجد، ومدارس ومعاهد وكليات ومقابر ومستشفيات وبيوت وأراضي وسيارات، غير أن هناك تفاوت كبير جدا بين جنس وآخر في الكمية، فجنس المساجد

¹ المصدر السابق ص. 151

² المصدر السابق

³ ISLAMIC LAW AND CHARITABLE TRUSTS ITS PRACTICE AND APPLICATION IN NIGERIA M,L, DABO

Pg.81

⁴ المصدر السابق

أكثر من غيره، ثم جنس المدارس، ثم السيارات ثم المقابر مثلا، وهذا له علاقة ومسببات تنطوي في أمور منها:

- ١- الفهم الشائع في المجتمعات الإسلامية عامة حول مفهوم الوقف.^١
- ٢- عامل الإحتياج .

التنظيم الإداري:

يعتمد التنظيم الإداري للأوقاف التابعة لهذه الجمعيات على حسب السياسات المتبعة لدى كل جمعية، وإن كان هناك أوجه التوافق بين بعضها، فتجد عند كثير منها أن شؤون إدارة الأوقاف يتألف من :

- ١- المركز الرئيسي الوطني: وهو المجلس الأعلى في المؤسسة، ويزعن له كل فرع من فروع المؤسسة، وله القرار الأخير.
- ٢- المجلس الفرعي الإقليمي: وهو تابع لما فوقه في الرتبة، ويشارك في جلساته نواب من كل ولايات الإقليم، وجلساته متداولة بين الولايات.
- ٣- المركز الفرعي الولائي: وله إشراف على شؤون الإدارة في كل الولاية.
- ٤- المراكز في الحكومات المحلية^٢.

الناظر (المتولي):

ليس لأوقاف هذه الجمعيات ناظر مرشح من قبل الواقف في الغالب، وذلك أن أكثرها لم تكن من متبرع واحد حتى يضطر إلى نصب ناظر يحفظ له وقفه، وإنما هي عبارة عن مشروع يخططه المجتمع أو المؤسسة نفسها، و التمويل من عدد كبير من أفراد ، **Collective Endowment** ولهذا كان النظر على أوقاف هذه المؤسسات غالبا حسب تلك المراكز واللجان الإدارية السالفة الذكر.

موارد المؤسسات، ومساندة الحكومة لها:

لم يكن لهذه المؤسسات أي ميزانية من الحكومة، بل ولا أي مساعدة رسمية تأتيهم شهريا أو سنويا، إلا الذي يأتي أحيانا بعد الطلب، بل جل اعتمادها على ما تجمعها من الصدقات، لذلك كان توفر السيولة من أكبر مشاكلها، و زيادة على ذلك، أن مشاريعها بعيدة عن أي صبغة تجارية -إلا القليل النادر- مما أدى إلى غيابها عن عالم الإستثمار تماما، مع أن الفرص الإستثمارية أمامها متاحة، والأمر عليها سهل ميسر. لكن هناك جهود تبذلها الحكومة في هذا المجال، يجدر الإشارة إليها هنا، ذلك أن الحكومة

¹ Waqf and Its sociopolitical Aspects ١٩٩٢. By Dr. monzer Kahf p ١٢.

² ISLAMIC LAW AND CHARITABLE TRUSTS ITS PRACTICE AND APPLICATION IN NIGERIA M,L, DABO Pg.81

تبعث كثيرا من الأساتذة والمدرسين ليدرسوا في بعض مدارس هذه المؤسسات ورواتبهم على الحكومة^١ **Secondment** وكذلك تحصل أحيانا على الأراضي مجانا من الحكومة وكذلك أحيانا السيارات والأموال.

وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى جهود بعض المؤسسات الخيرية العالمية التي تساهم جدا في انشاء الأوقاف وإدارتها، فقد أنشأت أوقافا كثيرة جدا وأغلب أوقافها من جنس المدارس والمساجد والمستشفيات والكتب، ولها سياسات ومنهج خاص بها في ادارتها لأوقافها.

الحكومة نيجيريا وإدارة الأوقاف

لم تكن الحكومة النيجيريا ذات اهتمام بأمر الأوقاف، وكأنه يغيب عن بالها أهمية الأوقاف في بناء المجتمع، وإن كانت تحت على مساهمات الأفراد والجمعيات في كل ما ينفع المجتمع، غير أن ذلك لم يُدعم حقيقةً مادياً ولا معنويًا، وظلت الأوضاع هكذا إلى أن جاءت سنة ١٩٩٩م^٢، لما قام والي ولاية زمفرا (أحمد ثاني) بتطبيق الشريعة الإسلامية في ولايته، وتبعه بعد ذلك بعض الولاة في ذلك، وكان من نتائج تطبيق الشريعة الإسلامية أن اختُزعت بعض الولايات وزارة الشؤون الإسلامية التي من أكبر نشاطها: الأوقاف والزكاة، واكتفت بعض الولايات بلجنة الأوقاف والزكاة، وتقوم حاليا هذه المؤسسات بدورها، وانتظم أمر الأوقاف تحت مظلة ها.

الأنشطة الحكومية باسم الوقف:

ونركز هنا على ولاية زمفرا كسابق ولاية في تطبيق الشريعة

وزارة شؤون الإسلامية في زمفرا:

أنشأت هذه الوزارة في سنة ٢٠٠٣م، وهي من نتائج تطبيق الشريعة الإسلامية في الولاية كما ذكرنا سابقا، وبموجب الخضوع للقانون تم تصويت أكثر الأعضاء في مجلس النواب الولائي على رسمية وقانونية هذه الوزارة بموجب القانون ١٣. لسنة ٢٠٠٠م. ولها صلاحية القيام بالأنشطة التالية^٣

١- إدارة الأوقاف.

٢- جباية الزكاة وتوزيعها على أصنافها الثمانية.

٣- الإحتفاظ باللقطة والبحث عن صاحبها عبر الوسائل المناسبة.^٤

وغيرها من أمور الدين والدعوة .

¹ المصدر السابق

² The Economy and Shari'ah in North West Zone with Particular References to Sokoto and Zamfara Stases. Chika U. Aliya p. ٤

³ المصدر السابق ص. ٥ . وكذا Zamfara State Official Gazette 2003 p.2

⁴ المصدر السابق ص. ٢ . وكذا Habiba ribado, p. 58

الدعم الحكومي للوزارة:

حكومة ولاية زمفرا تدعم هذه الوزارة دعماً يستحق الثناء وأن تكون مثالا لغيرها، ذلك أن الحكومة تفرض على كل من حصل على أي مشروع من مشاريع الحكومة أن يعطي هذه الوزارة واحداً في المائة ١%، من قيمة المشروع كوقف من الحكومة. وإضافة على ذلك أن ميزانية الوزارة الشهرية تصل إلى #٢٠٠٠,٠٠٠. وكذلك تحصل الوزارة على الأراضي والسيارات والشاحنات من الحكومة .

إنجازات الوزارة :

لقد استطاعت هذه الوزارة أن تنجز كثيراً من المشاريع باسم الوقف، وتشمل أوقافها جوانب عديدة من جوانب الحياة ، والتي من أهمها :-

المشاريع الصحية

استطاعت الوزارة أن تبني سبعة عشر مستوصفاً، ومستشفى واحداً، بجودة عالية، وزودت المستشفى والمستوصفات بأحدث الأجهزة الطبية الراقية، والحكومة تزودها بالأطباء والصيدلة والممرضين. ويعالج فيها المرضى مجاناً بكل ما تعنيه كلمة المعالج من استشارة الأطباء والمراجعة والدواء والعمليات الجراحية،^١ وما زالة الجهود متواصلة بعون الله.

المشاريع التربوية :

لهذه الوزارة خطة بناء المدارس في كل محافظاتها، واستطاعت أن تنفذ كثيراً منها، و تحتوي هذه المدارس مبدئياً أربعة فصول وحمامات ومكتب للإدارة. أما المدارس التي هي موقوفة من قبل الآخرين— أصحابها— فالوزارة تساندها بالمنهج، وتدريب المدرسين، وبكل ما ي أهل المدرسة في الحصول على اعتراف الحكومة حسب معايير وزارة التعليم^٢.

المشاريع العقارية

¹ Zamfara State Zakat and Endowment Board Paper for first Regional Workshop for Zakat Organization in Africa at Sudan. ٢٠٠٩ , p. ٤

² المصدر السابق

لهذه الوزارة ٥٢، بيتا بنتها أو استلمت مفاتيحها موقوفة من أصحابها ولربما تقوم بترميم و إعادة بناء بيوت العاجزين والفقراء، ووصل عدد هذه البيوت ٣٠٠م، وللوزارة أحقية اسكان من شئت وعليها مسؤولية الحفاظ والإدارة^١.

المشاريع الزراعية :

تمتلك الوزارة أكثر من ٢٠٦، هكتاراً وأغلبها أوقافا سلمها أصحابها إلى الوزارة، توزع هذه المزارع على الأيتام فقط ليزرعوها سنة ثم ترجع إلى الوزارة، وتزودهم الوزارة بالسماد والبزور والمعدات الزراعية، وبكل ما يحتاجون إليه في الزراعة، والحصاد والتصفية مما كان متوفرا لدا الوزارة، وهذا كله دينا لا مجانا، تسترجعه الوزارة بعد الحصاد من غير أي فائدة، ولا مطالبة بالضمانات^٢.

محوية الفقر :

وزارة الأوقاف قامت بجهود جبارة في مطاردة الفقر في الولاية، فقد قامت بكثير من الأنشطة في مجال التوظيف وتوفير الأعمال للأيد العاملة والفقراء، باسم الوقف والزكاة، وقد استفاد بهذه البرامج كثير من الناس، وأشغلوا أوقات فراغهم بما يعود عليهم بالنفع، فمن الناس من يحصل على رأس مال، ومنهم من وجد جهازا يستغله في كسب المعيشة،... وهلم جرا^٣.

المساجد :

لقد نالت المساجد نصيبها الوافر تحت إدارة هذه الوزارة، فقد خصص لها سهما واحد من أسهم الزكاة الثمانية وهو سهم (في سبيل الله) وقد سبق في بعض الفقرات أن من خصائص هذه الوزارة جباية الزكاة، فإنما يتم تقسيمها بعد أخذها حسب تقسيم الله لها في كتابه العزيز، فخصصوا للمساجد سهم في سبيل الله، إذ الجهاد غير قائم، ولدخول المساجد فيه دخولا شموليا.

موقف الشعب واستجابتهم لهذه البرنامج:

بطبيعة الحال، قد وجدت الوزارة وبرامجها قبولا طيبا من الشعب المسلم النيجيري عامة، ومن شعب زمفرا خاصة، لقد تشجع كثير من الرجال^٤ والنساء على حبس ممتلكاتهم في سبيل الله، ابتغاء مرضاة الله ليكون لهم زادا وزخرا يوم القيامة.

¹ المصدر السابق

² المصدر السابق

³ المصدر السابق

⁴ The Economic Dimensions of Shari ah in Northern Nigeria by Mustapha Adam Kolo, p.٧

وعلى الطرف المقابل، تجد أغلب الكفار الذين ابتلن بالمواطنة والمعاشية معهم يعارضون ويعاكسون هذه التطورات، ولا غرابة في ذلك، إذ أن هذه هي سمتهم التي عرفوا بها، فمعظمهم يعارض كل شيء أتى به المسلمين، وإن بان خيره لديهم وضوح النهار، وعم نفعه الناطق والصامت.

الولايات الأخرى:

كان التركيز فيما مضى على ولاية واحدة - زمفرا - كنموزجا رائعا يستحق الذكر والاختيار من بين أقرانه، حيث أن باقي الولايات لاتعادلها في إنجازاتها، وإن كانت تتفق معها أحيانا في منهج الإدارة والتنفيذ، وتأخر باقي الولايات عن ولاية زمفرا راجع إلى قلة إهتمام حكوماتها بهذه البرامج من ناحية التمويل¹.

التحديات والمشاكل :

لا شك أن هذه الأوقاف تواجه مشاكل عديدة، وهذا أمر طبيعي في البرامج، ويستوي في ذلك أوقاف الحكومة وأوقاف المؤسسات، غير أن التحديات القانونية تقل عن التحديات الإقتصادية والإدارية، وإن كانت المشاكل الإقتصادية تتكاسف في أوقاف المؤسسات أكثر، إذ لا ميزانية لها، ويقبل فيها أيضا التوجه التجاري، وكذلك مشكلة عدم الإستقرار إذ لا تخلوا جمعية منها إلا وتعاني المشاكل الداخلية بين قادتها إلا القليل، وكذلك المشاكل الإجتماعية، حيث أن بعضها تواجه النظرات السلبية من بعض الشعب، ومن أسباب ذلك أن بعضها لا ينتفع بأوقافها العامة والخاصة إلا الذين ينتمون إليها .

وهذه المشاكل تقل جدا في الأوقاف الحكومة، غير أن هذه الأوقاف الحكومية قد يواجه مستقبلها الاضطرابات لأنها تخضع للنظام الديمقراطي المتغير بطبيعة الحال، فالخوف قائم من أن يفوز رجل علماني في الإنتخاب - لاسمح الله - لا تعجبه هذه التطورات، أو رجل فاشل في الإدارة، فيترتب على ذلك أضرار وخيمة على الأوقاف، والله المستعان.

¹ للفائدة يمكن مراجعة للمصادر الآتية Mustapha Adam Kolo, p.٧

¹Also Position Paper on Zakat Collection and Distribution in Nigeria by Justice Abdul qadir Orire 2009 و

الختامة.

فيما تم استعراضه في هذا البحث، يلاحظ القارئ الفرق الشاسع بين ما كانت عليه الأوقاف في السابق وما هي عليه اليوم، من التقدم الزاهل السريع، وكما يلاحظ أيضا، ليس هناك اهتمام كبير على جانب الأوقاف التجارية من نوعيات الأوقاف في البلاد، مع أن ذلك من أهم الأمور التي ترسخ قواعد الأوقاف على أرض الواقع حقيقة، وتحدد لها المستقبل الناجح.

التوصيات

وأخير يوصي البحث بأمور منها :

- ١- أن تولي الحكومات كلها عناية بالغة بأمر الوقف .
- ٢- أن تهتم وزارات الأوقاف بالإستفادة من التجارب العملية الجدية للدول الإسلامية التي نجحت في هذا الميدان.

والحمد لله رب العلمين وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى أهله وصحبه وسلم.